

الدكتور شميل وفلسفة النشوء

ظهر كتاب الدكتور شميل في فلسفة النشوء والارتقاء منذ شهرين تقريباً فاستقبلته الصحافة العربية استقبالاً لا يخرج عن المؤلف ولم يتصدّق لاتقاده الأ قليل منها مع أن الكتاب من المباحث الخطيرة التي تشغل اليوم عها الغرب ولصاحبه شهرة طليّة في عالم الآداب والطب وقد قضى في خدمة العلم ثلاثين سنة يكتب ويؤلف وينظم في مواضيع شتى من علم وحياسة واجتماع وهو ممتاز باستقلاله في الرأي وجرأة في الكتابة وشهرة حقيقية على نشر مبادئ العلم الصحيح والأصلاح العمري وقد بحث عن السبب في هذا التقصير أو النقص من حملة الأقدام فوجدته غموض هذا العلم على السواد الأعظم من قراء العربية وجرأئنا كما تعلم تسمى في افادة قرائها ولكنها تسمى قبل ذلك في أروضهم وليست المسائل العلمية مما يرضي القارئ في جب ما تقدمه له الروايات والأخبار السياسية من التفتك والسرور

وما اطول ثمرة الكعبة من هذا الثور الحاصل بين القراء والمطالعات العلمية فاي فضل لهم وهم قادة الأفكار اذا لم يكن فهم من يعرف أن يجب الى القارئ ما يكتب فيجسمون امام المسائل العلمية خوقاً من غموضها وعجزاً عن وضعها في اصلوب جديد يقرب الاقصى ويزيل الأشكال ويدفع المثل وتولا المتنظف وهو مجلة العلم الوحيدة واللال الذي لا يتخلو من الاخبار العلمية لكان قراء العربية في معزل تام عما تلد ادمغة الرجال وتخلق حركة العلم الدائمة في بلاد السنان والفتون

على أن الدكتور شميل تلافى هذا السبب لان الكتاب الذي اختار تعريبه شرحاً لمذهب دارون صريح البيان بسيط الاصلوب فضلاً عن ان لغة العرب جامعة بين فصاحة التركيب ورشاقة التعبير وانشائه سهل المأخذ قريب الخال وهو لم يقف فيه عند حد الترجمة بل ذيله برسالة بيغة خطها رداً على منقديه وزاد عليه مقدمة جمع فيها بين تخيل الشاعر ونظر الفيلسوف ثم اضاف اليه في الطبعة الجديدة مقدمة ثانية فلسفية وخاتمة لا تقل عن المقدمة فصاحة وتخيلاً للحقائق على وجه التعميم

وقد كنت قرأت الطبعة الاولى لشرح مختصر وانا حديث السن فوجدت من النفس ارياحاً ان اعود اليه بعد مرور ١٥ سنة وزاد سروري انه لم يتخل من طلاوة الجديد على قدمه فضلاً عما جرى به براع العرب السال في المقدمة التي تمثل لك تاريخ الانسان سبعة طريق العلم منذ خطأ الخطوة الاولى اليه وانصرافه في درس الشرائع والآداب الى غاية غير

عملية قبل ان يبيل نحو الفلسفة ودرس شرائع الطبيعة ثم تظهر فضل العلوم أنكونية في ارتقاء الصنائع والفنون وكسر قيود الاحتماء السبسي والديني وتشي الانسان نحو حكم عادل جمهوري بتطبيق مذهب النشوء على كل ما في الخليقة - وقد انتهى فيها وهو الطبيب الى فضل هذا العلم على الطب باطلاق نوايسه عليه وسر في كلامه عن ذكر المناعة وطلاتها يتوابع الميكروب وتبايناته وابدى رأياً لم يسلم من الانتقاد والرد (راجع مقتطف مايو ويوليو) والظاهر من كلامه انه يعلق اهمية كبرى على هذا التقسيم ليني عليه تعليلاً لا يخلو من الجسارة مع ان يفتخر نفسه يقول انه يصعب التمييز بين الانواع والنباتات - ويصكل بنصح بعدم تضييع الوقت بتعظيم هذا الفرق فما النباتات الا «انواع في حال الشاة» - ورب صفة البتها للنوع لثبوتها ثم بدت لك متغيرة فنوعتها عنه - فضلاً عن ذلك غاية قائمة عملية من وراء هذا ونحن نعلم اليوم الخطة التي اتبناها علم النيكترولوجيا في إيجاد المناعة - وقد عد الدكتور ميكروب السل من الانواع الاشد ثبوتاً فما قوله بل العاصمير وسل الاممك وسل البتر ؟ واستشهد على ثبوتهم بدم شفاه الدامع ان حوايت نشاء غير نادرة وفي الشرح بعد الموت ما يدفع كل ريب - وقد جاء في الفقرة التالية من كلامه على اكتشاف مصل شاف واتي لكل داه انه يجب ان يكون ممكناً في الطاعون والكوليرا واظن هذا الخطأ من المطبعة لان مصل الطاعون الشافي الروائي معاً موجود منذ سنين

وفي هذه الطبعة الجديدة لشرح يفتخر تعليقات كثيرة للؤلف انجيني منها بوجه خاص ذكرة راي كوستاف ليون في تلاشي المادة لانه رأيت خطير قبل به العلماء اليوم ويتنظر منه حركة جديدة في الاكتشافات الكيميائية خصوصاً والعلية عموماً

ولا يخفى ان مذهب النشوء والارتقاء لم يتقدم كثيراً من سنة الى اليوم بشهادة انصارو عينهم ولكنه انتشر في اطراف البلاد المتقدمة وانضم اليه كثير من اهل العلم لانه اماط الحجاب انكشيف عن اسرار هذا الكون الواسع من عالم النجوم الى طبقات الارض الى الحياة الى العقل والاجتماع - وليس كل غناء التحول يعتدون بالاخييار الطبيعي الذي وضعه دارون تفسيراً لمذهب لامارك قال كوستاف ليون « لا يوهان على ان التحول يتم بالاخييار ورتباصح اكتشاف الصفات اخصوصية بنير التجمعات الوراثية عقياً في عقب ولكن هذا لا يهم فان العالم الذي انهضه دارون قد نهض وامكان التحول بوسائط طبيعية امر مقرر زرع من اسامه مبدأ القائلين بالخلق» - ولا ريب ان افكار العلماء قد ارتقت بفضل هذه النهضة والبحث المتواصل لم يكن عقياً وماجد فيع على قنته بزبدته رسوخاً وايضاحاً من ذلك التحول

النجاني العام الهولاندي ده فريس وقد ذكره المتشطف في حينه وبعض الاحافير المكتشفة حديثاً واتحانات جديدة في علم ابيولوجيا . اما التحول النجاني فهو يوضح اشكالا عظيمياً ويزيل تناقضاً كبيراً لا يعلم منه انقون بالتحول البطني والتدرجي كما يظهر لك من حساب الوقت اللازم لتحو الحياة فقد تساهوا كما يتنضي من اترين لتصير البقعة الملوثة عيناً بشرية بهذا اللطف في البناء او التحول العتدة الاولى الى دماغ ذوات الثدي فوصلوا الى ارقام هائلة تفيد بمدى الحياة تجاوزوا بها ثلاثمئة مليون سنة وهذا مناقض لآراء الطبيعيين والجيولوجيين لانهم يقولون ان الارض ميساطال عليها التدم فهي لم تبلغ هذا العمر . وقد ذكر دارون عن حملان جزيرة ماديرا ان غائبة لا يطير لقص في جناحيه وعن ذلك بالاخيار الطبيعي وما يحصل من الضرر بسبب الامتياز وذلك ان ما كان منه قادراً على الطيران تسوقه الريح وتلقيه في البحر فيهلك ولا يبقى الا العاجز فينتقل تكوينه الى نسله الخ (راجع صفحة ٩٨ من كتاب فلسفة الشوء والارتقاء) غير ان مشكوف قرع وهو في تلك الجزيرة لجمع جثث الجمل المطروحة في انير وفاس اجتمعت باجمعة الخبي الذي لم يتخاطر بحياته في الطيران فلم يجد اذ في فرق ولذلك يظن انه يمكن التعليل عن نقص الجناح في بعض هذه الجمل بالتحول النجاني على مذهب ده فريس

واما الاحافير فاهما ما وجدت ثلاثه من الرهبان مؤخراً في «شاكيل اوسن» وقد ظن العواد فبلاً انهم اختدوا ان السهم السوداء بالان التي اكتشفها ارجين ديري سنة ١٨٩٤ في جزيرة جاوى تحت اقتاض البراكين الهامدة على ضفاف نهر بانكانان وهي مولفة من ججمة وعظم فخذ وستين من الطواحين . وقد حاروا يومئذ في نسبة هذا الحيوان الجديد فقال بعضهم انسان يشبه القرد وقال آخرون بل قرد يشبه الانسان ووفق مكتشفه بين الفريقين فسماه الانسان القروي الا ان بعض العلماء دسهم فرضوا انكروا كون هذه البقايا هي لجسم واحد فبقيت احقيقة ضائعة والحلقة مفقودة ولا يزال التحقيق جارياً هناك الى اليوم للشور على جثة كاملة تكون فصل الخطاب . ولكن التقرير الذي قدمه «بول» استاذ علم الاحافير الى الانسيبو سنة ١٩٠٨ بشأن حفور «شايل اوسن» كان له صدى عظيم وهو هيكل غير كامل لرجل مجنون عاش في الطور الرياي المتوسط طوله لا يتجاوز متراً وستين سنتراً وجمعت كبيرة ضخمة تدل ملاحظها على الفوحش وتشبه ججمة «فندر تال» ويستج الامتاذ بول انها مثل صفتاً قائماً بنفسه اول الى القرد منه الى الانسان ويضعه بين الحيوان الذي اكتشفه ديري واعرق السلائل البشرية في الهمجية . والذي بهم ذكره ان هذا

الميكال انما قص وجد في حفرة والرأس مسند الى كومة من الحجارة مما يدل على انه دفن دفناً فأكرام الموتى موجود في ذلك الطور وهذا اسطع دليل على انه انسان فاذا صح كل هذا فقد تمت نبوة شفهبوزن وجورج بوشه الواردة في شرح بجنور (صفحة ١٤٨)

واما التجارب البيولوجيا فاولها ما يسمى «المرسبة» *prémissa* وقد ورد ذكرها في المصنف لحضرة الدكتور ابي خاطر تقياً عن كتاب متشكوف في «الطبيعة البشرية» وثانياً ما ذكره «بوشن» الالمانى اقله على علاقته «اذا اخذت نقطة من الدم ونظرت اليها من خلال المكبرة رأيتها مؤلفة من سائل وكريات ساجدة في ذلك السائل فهذه الكريات تختلف حجماً وشكلاً باختلاف الحيوان ولا يمكنك ان تخرج دم حيوان بدم حيوان اخر من غير نوعه دون ان تضر بهذه الكريات وتلفها عن اخرها فاذا اخذت ارنياً مثلاً وحقنتها بدم من فقد اضمرت حرمياً عواناً في تلك الارنب تظهر حالاً اعراضها فيها قترتمش اعصابها وتنفض مفاصلها وتسوي عليها تشجات هائلة ويصاحبها الهلاك عن مدى حياتها. ولكن لهذا الامتزاج واضراراً محدداً يقف عنده قدم المر لا ينقل المر والحيوانات القريبة النسب لا تتأذى من هذا الاختلاط كالكلب والذئب او الحصان والجمار. وقد أرتأى عالم من برلين اسمه «فريدانتال» ان يمزج دم القرد بدم الانسان فكانت النتيجة مختلفة بحسب مرتبة القرد في الارتفاع فان دم الانسان اذا مزج بدم القرد الدنيئة كان مملاً بل نازلاً آسكلة واذا مزج بدم الشيازي كان برداً وسلاماً مما يدل على وجود «قراية دم» حقيقية بين هذا وذاك

واراني قد بددت في سرد الشواهد فاسأل القارىء المعذرة واعود به الى كتاب الدكتور شميل لاقول ان هذا الكتاب عزيز المذهب جم الفوائد خليق بان يكون في كل مكتبة وفي كل صدر وقد حق علينا الشكر لثولف لهذه الخدمة التي افاد بها قراء العربية والتي لا يدرك صعوبتها الا من طاف انكثابة في هذه المواضيع الوعرة. وقد فرأت الكتاب حتى اتيت على آخره واعدت قراءة الخاتمة البديعة التي جعلها له كالطرز المر وكثت اطبق الكتاب وانا مأخوذ بما فيها من بحر البيان لولا اعتراض عنى في على بعض ما جاء فيها. فوفقت مستوقفاً معى صدقى الدكتور يساعدي في رد حملتى المشكرة على كتاب الادب والرومان. يقول حضرة ان الرومان تذبذوب لتوى الاجتماع وتشليل العقل في آن واحد وليس هو من منتجات العقول الزاقية في شيء. والى اوانته عنى ذلك اذا كان المقصود منه ما كان مقدرة للاخلاق ومثالاً للتهتك او ما لم يكن فيه غير ضرب وقتل وسرقة واحتيال كروكبول واشباهه واكثر ما يشرى في ذيل الاخبار اليومية والأفاني اعتقد ان ما يسمى سيلاً جارقاً هو

الحافظ لجمال الفكر والفن من هندسة ونقش وموسيقى وشعر وهو الذي يؤثر في تربية الشبيبة والاجتماع ويشد الصلات بين طبقات الشعوب ويحمل مصباح العلم الى اقصى الشهور فهو لا ينافي العلم ولا يقف عثرة في سبيله بل يمشي ويايه جنباً الى جنب - ان قوة التصور والخيال التي تنتج مثل هذه الكتب المنسأة بالرومان هي كمثل التي المعادن اشعاع الفكر البشري على الاطلاق فكما ان اندفاع ذرات النور لا ينحصر بالرايوم بل هو اليوم من خصائص كل جسم اذا قفلت فيه الموجات اللازمة للخيال والتصوير من صفات كل دماغ وقد وافق الانسان من قبل ان يعرف الكتابة فكان يدفعه الى تصوير افكاره وترجمة شعوره على الهياكل المنقرشة والتماثيل الخشبية وفي الثغرات الصاعدة من قلبه واوقاروه - ولما افتتح امامه طريق الكتابة والطباعة اندفق هذا السيل منصرفاً الى الورق يرسم عليه ما يدور في تلك الجمجمة المنقرشة من جمال واحلام مبتدئاً بالجن وما يلبسه من الاوهام متتبعاً بالحقائق التي قررها العلم في هذه الايام - ولولا قوة الخيال والتصوير لما قدر نيوتن على اكتشاف الجاذبية وباستور على توم الكروب قبل ان يوصل اليه ولا نوازيريه على وضع دوائهم الكيماوية الحديثة وكثير من العلماء لندف هذه القوة او كونها فيهم مروا من امام المخترعات ولم يتجهوا اليها وكما حملت هذه القوة على اجتماع مثل اولئك الفحول في طريق الاختراع فمثل غيرهم في طريق آخر فيكون منهم كشبة اجتماع نظير « هيكو » و « ستاندل » و « بورجد » وادب كرود وجمال كبارس وفرومانتن ورقة كدام ستين وفلسفة كاناتول فرنس وتخلت لك مصورين مثل بلزاك وطيبسين مثل ادم وبريشومت وفسيولوجيين مثل فلويرت وزولاومرسان ومن يدري اذا لم يكن هذا نوعاً من توزيع العمل تجري احكامه على العالم العقلي ايضاً الا اذا كان حضرة الدكتور يريد ان يكون كل الناس علماء طبيعة وكيمياء وبيولوجيا

وعندي ان الرومان كما هو اليوم طريقة يترن بها العقل على التخييل كالشعر والروايات التخيلية فاذا حاولت ان تبطل هذه الرياضة فقد ضنطت على العقل وقصصت جانحه فلا نورث اولادنا في مستقبل السنين الا دماغاً بطيئاً وعتلاً متافلاً لا قدرة له على التخليق كالشعر لا متكتاف آفاق جديدة من هذا العالم المجهول

والدكتور نفسه متيد بقوة هذا الخيال يتدفع به من حيث لا يدري فيأتي بالشعر المنشود والنثر المنظوم ويحاول ان يسن لنا شرائع الاجتماع البشري في لغة الالهة وتراء وهو الذي يقول عن نفسه انه لا يلبس القفاز الكوناني (كرهاً للتقييد بتقييد عن رضى بقافية من مثل « حضرا » و « ثفن »)

فالدكتور شميل شاعر واديب من قبل ان يكون طبيباً وفيلسوفاً عمراً وسي قرأت كتابه الثاني الذي يصدر عن قريب وفيه مفعوة ما كتب في الطب والادب وطلعت على ما فيه من التصورات السامية والمواضيع المختلفة مفرقة في قالب من الانشاء جديد لا يعرف التعقيد ولا التقليد اعجبت بهذا الاقتدار النادر في خلق المعاني وتصورها وتنسيقها وبقست مثلي ان الدكتور شميل قابضة في الشرق لو قدر له ما لعلاء الغرب من مصانع كيميائية ومعامل ذبولوجية يقرن بها العلم بالعمل والدرس بالاختيار لكان من المخترعين ولاضاف اسمه الى قائمة الذين يذكرونهم في كتابه ويستشهد بهم في جداله ويشي على اثرهم في اقواله
 بني لي كلمة في ختام هذا الحديث امرها للقارىء الكريم وهي ان مذهب القول عم قد تأيدت دعائمه والانسان لم يتعمده اصله الحيواني ان يكون كما هو وليس في استطاعة احد ان يترج منه آماله واحلامه. والذي في قلبه ايمان حقيقي لا يتألم اذا عرف انه في زمن من الازمان لم يكن جده يحمل فقط على اكتافه جلد حيران كما يفعل بعض الموثحين اليوم بل كان هذا الجلد لامساً يديه. لم يمت الشعر لان الشمس لم تعد تطفح حقيقة من المشرق لم يمت لاننا عرفنا ان الارض تدور حولها والاحساس الذهني انساني بارقي معاني الكلمة فلا تزيله معرفة الانسان تاريخه القديم وما هذه المعرفة سوى انتصار للعقل البشري لانه يست من رسم الخيوط ذلك الماضي المدفون منذ ملايين من السنين
 الدكتور
 نقولاً فياض

باب تدبير المنزل

قد نلاحظ هنا الباب لكي ندورج فيوكل ما مع اهل البيت صرفته من فريفة اكلواذ وتدبير الطعام واللباس واشتراب والسكن والزينة وغير ذلك ما يعبر بالضع عن كل عائله

القمح وطحينه

قوام الطعام اربعة اصناف وهي : المواد النشوية كالقمح والحب والمادة الصمغية في الصمغ . والمواد الدهنية والزيتية والمواد النشائية والسكرية . والمواد المعدنية كبحض الاملاح . وكلها موجودة في البندوبو كاف للتغذية جيدة . اما القمح فتؤلف من ثلاثة اصناف من هذه